جامعة الشارقة
UNIVERSITY OF SHARJAH

مجلة جامعة الشارقة

مجلة علمية محكمة

للعلوم الإنسانية والاجتماعية

المجلد 19، العدد 2
ذو القعدة 1443هـ / يونيو 2022م

الترقيم الدولي المعياري للدوريات 1996-2339

يونيو 2022م مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية المجلد 19 العدد 2
https//:doi.org/10.36394/jhss/19/2/19

النزعة السَّرديَّة في رسائل الصَّاحب بن عبّاد

عمار عبد العزيز العساف[1]

تاريخ الاستلام: 25-09-2020 **تاريخ القبول: 24-08-2021**

ملخص البحث:

يُسلِّط هذا البحث الضوء على السَّرد في رسائل الوزير الصَّاحب بن عبّاد، فقد وظَّف الكاتب هذا التقنية في نقل أحداث المعارك التي جرت بين البويهيين وخصومهم، وخصوصًا تلك المعارك التي استمرّت فترة طويلة من الزمن، وتخلَّلها كثير من الأحداث المُؤثِّرة في مسار العلاقات بين الأمراء المُتنافسين.

ويربط البحث بين السَّرد وعناصر أخرى كانت تُهيمن على قلم الكاتب أثناء الكتابة، فهذا السَّرد لم يكن من أجل نقل الأحداث فحسب، بل كان مُشبَعًا بغايات أخرى مُضمَرة في النصِّ تجلّت في إعلاء كعب الأمير بوصفه الطرف الذي يمثّل الخير، والتقليل من شأن الطرف الآخر الذي يمثّل الشرَّ.

وانطلاقًا من هذه الثنائية يسرد الصَّاحب بن عبّاد أحداث المعارك التي جرت بين عضد الدَّولة البويهي وقابوس بن وشمكير، وقد وظّف السَّرد كتقنية للتأثير في وعي المتلقي، وبثِّ الأفكار التي تُعلي سلطة الأمير عضدالدَّولة، وتُظهر الأمير قابوس بن وشمكير بمظهر الغادر الذي لم يحفظ العهد.

الكلمات الدالة: السَّردية، الزَّمان، المكان، التأثير، الوصف، التَّرسّل، البناء، القيم، المتلقي، الأحداث.

(1) وزارة التربية والتعليم (العين - الإمارات العربية المتحدة)
mmar.assaf1976@gmail.com

أولا- المقدمة:

يُعدُّ مصطلح السَّرد من المصطلحات الحديثة نسبيًا، فقد تسرّب إلى الثقافة العربية في القرن الماضي، مع بروز المذهب البنيوي. لكنَّ ظهور المصطلح حديثًا لا يعني أنَّ العرب القدامى لم يوظفوا مفهومه في شعرهم ونثرهم، فقد وجدنا بعض الشعراء يميلون إلى السَّرد القصصي في قصائدهم، وكذلك ترك لنا الأدباء القدامى نماذج سردية مكتملة العناصر؛ كالمقامات والنوادر والمُسامرات، وغير ذلك. ولكن على الرَّغم من ذلك لم تنل هذه الأنواع الأدبية القديمة العناية الكافية، فما زال الاهتمام مُنصبًا على الأنواع الأدبية الحديثة.

إنَّ تراثنا الأدبي غنيٌّ بالنماذج السَّردية التي تستحقَّ التوقف عندها ودراستها، ومن هذه الأنواع الرسائل الأدبية التي لم يتم تسليط الضوء عليها حتَّى الآن، على الرَّغم من مكانتها في الأدب العربي. فقد استعان بعض الكُتَّاب بالسَّرد في رسائلهم؛ ومنهم الوزير الصَّاحب بن عبّاد الذي وظّف السَّرد في رسائله الحربية، فنقل إلى المتلقي الأحداث التي جرت بين البويهيين وأعدائهم، وما رافقها من مناورات كلامية وعسكرية قبل أن يتحقّق النَّصر في النهاية. وهذا يدفعنا للتساؤل عن الغاية التي توخّاها الصَّاحب من هذا السَّرد؟ وماذا حقّق من إضافة لرسائله؟ وماهي الأشكال السَّردية التي وظَّفها الكاتب؟

كلُّ هذه الأسئلة تتبادر إلى الذهن ونحن نقرأ رسالته التي وثقت حرب عضد الدَّولة البويهي (ت372 هـ) مع قابوس بن وشمكير(ت403 هـ)، إذ استعان الكاتب بفنِّ السَّرد لنقل وقائع المعركة إلى المتلقي. ولم يكن هذا الاختيار اعتباطيًا، فللرسالة أهمية أدبية وتاريخية، فقد كتبها الصَّاحب موظِّفا براعته الإنشائية لإثبات حقِّ عضد الدَّولة في الرِّياسة بعد خلافه مع أخيه (يُنظَر: الجزري، ابن الأثير، 2009، 7 / 113).

ثانيًا- الترسُّل الفني عند الصَّاحب بن عبّاد:

شهدت الكتابة الفنية في القرن الرابع الهجري نهضة راقية، فقد لمعت أقلام مُبدعة ارتقى أصحابها سُلَّم الترسّل الفني، وتركوا بصمات واضحة على النثر العباسي عموماً. ومن هؤلاء الكُتَّاب الوزير كافي الكفاة، الصَّاحب بن عبّاد(ت385هـ)، الكاتب الذي علا نجمه في الكتابة والرِّياسة، فتولّى الوزارة في عهد بني بويه، ووصل إلى مكانة عالية لم يسبقه إليها أحد من الوزراء، حتى إنّه كان يُطاع في كُلِّ ما يقول (يُنظر: الحموي، ياقوت، د.ت، 6 / 174). وكان من يُؤذَن له في الدخول عليه "يظنُّ أنَّه قد بلغ الآمال، ونالَ الفوزَ

بالدنيا والآخرة، فرحاً ومَسرّة، وشرفاً وتعظيماً، فإذا حصلَ في الدار، وأُذن لهُ في الدُّخول إلى مجلسه، قبَّلَ الأرضَ عند وقوع بصرِهِ عليه ثلاثَ مرّات أو أربع"(الحموي، ياقوت، د.ت، 6 / 146). وقد عَظُمت مكانته عند بني بويه، فكان الأمير فخر الدَّولة البويهي مُعجبًا بشخصيته، حتّى قيل إنَّ الصَّاحب لو قال قولاً في مسألة، وقال فخر الدَّولة قولاً آخر، امتثل قول الصَّاحب (يُنظر: ابن عبّاد، الصَّاحب، د.ت، المقدمة ص ح).

وقد اتخذ من مذهب الصنعة طريقاً له في الكتابة، وأسرف في استخدام المحسنات اللفظية حتّى رويت عنه الطُّرف في ذلك (التوحيدي، أبوحيّان، 1961، ص88). وكان يتباهى دوماً بطريقته في الكتابة حتَّى إنّه قال: " بُلغاءُ العصر أربعةٌ: الأستاذ ابنُ العميد، وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف، وأبو إسحق الصابئ، ولو شئتَ لذكرتُ الرابعَ؛ ويعني نفسه"(الحموي، ياقوت، د.ت، 2 / 51).

والحقُّ أنَّ الصَّاحب يُعَدُّ من أبرز الكُتَّاب في القرن الرابع الهجري، سواء وافقناه في قوله السابق أو لم نوافقه، فقد نال ثقة أمراء بني بويه مدّة ثمانية عشر عامًا، قضاها منافحًا عنهم بالقلم والسيف، فذكر مآثرهم، وخلّد انتصاراتهم برسائل ماتزال إلى الآن وثائق تاريخية أزالت اللثام عن كثير من الأحداث والشخصيات في ذلك العصر. يقول مصطفى الشكعة عن رسائل الصَّاحب:"[هي] ليست مجردَ وصفٍ للحرب، وإنمّا هي دروسٌ في فنِّ الحرب، والمُحافظة على العهد، والنيل من خُلق العُذر، وتمجيد الإيمان بالحقِّ الذي يقود إلى النصر، وهي بعد ذلك كلّه وثائقُ تاريخية، أثبتت من دقائق التفاصيل التاريخية ما أهمله كُتَّابُ التاريخ، فجاءت رسائلُ الصَّاحب بن عباد وثائق رفيعة القدر عظيمةَ القيمة، كشفت النقاب عن كثيرٍ من أحداث زمانها، وعرَّفت بكثيرٍ من المُناسبات والشخصيات "(الشكعة، مصطفى، 1993، ص416). ومن هذه الرسائل رسالته في توثيق حرب عضد الدَّولة البويهي مع قابوس بن وشمكير، فقد نشأ خلاف بين عضد الدَّولة بن بويه وأخيه فخر الدَّولة، وكان من نتائجها أن انهزم فخر الدَّولة، ولجأ إلى الأمير قابوس بن وشمكير فأكرمه، ولكنَّ عضد الدَّولة أغار على إمارة قابوس، جرجان وطبرستان، فاستولى عليها سنة 371هـ، وفرَّ قابوس لاجئًا إلى خراسان. وتولى الصَّاحب مهمة نقل أحداث المعارك إلى المتلقي، بعد أن انتصر عضد الدَّولة، فكانت رسالته تسويغًا لتلك الحرب، ووسيلة إعلامية موجهة للمتلقي.

ثالثًا- مفهوم السَّرد:

لا نتوقع أنَّ نعثر على مفهوم لغويٍّ (للسَّرد) في المصادر القديمة، كما يتصوّره الباحثون في العصر الحديث. ولكنَّ العرب، شأنهم شأن الشعوب الأخرى، كان لديهم وعيٌ فطري بهذه الفكرة، فكلمة "سَرَدَ" مستخدمة بكثرة في المصادر القديمة، ولها استخدامات عديدة، وحسبنا أن نورد بعضًا منها عسى أن نقدّم تصوُّرا لمفهوم السَّرد كما فهمه العرب قديماً.

يقول الخليل"170ه":"سردَ القراءةَ والحديث يَسردُهُ سردًا، أي يتابع بعضه بعضًا"(الفراهيدي، الخليل بن أحمد، 1998، 7 / 227). ويقول أحمد بن فارس"395ه":"سردَ يدلُّ على توالي أشياءَ كثيرة يتصل بعضها ببعض"(ابن فارس، أحمد، د.ت، 3 / 157). ويقول صاحب لسان العرب"630ه":"السَّرد في اللغة: تَقْدِمَةُ شيء إلى شيء تأْتي به متَّسقاً بعضُه في أَثر بعض متتابعاً. سَرَد الحديث ونحوه يَسْرُدُه سَرْداً إذا تابعه. وفلان يَسْرُد الحديث سرداً إذا كان جَيِّد السياق له .وفي صفة كلامه، صلى الله عليه وسلم: لم يكن يَسْرُد الحديث سرداً أَي يتابعه ويستعجل فيه .وسَرَد القرآن : تابع قراءَته في حَدْر منه .والسَّرد : المُتتابع(ابن منظور، 200، 7 / 165). ويقول الفيروز أبادي"817ه":"إنَّ السَّرد جودة سياق الحديث"(الفيروز أبادي، 2005، 1 / 301). وتكاد كلُّ المصادر القديمة تكرّر هذه المعاني لكلمة "السَّرد"، وهي كما نرى تسلّط الضوء على اتصال الحديث وتتابعه، وجودة إخراجه للمتلقي، من دون إسهاب في النوع أو الكيفية.

ولاتثريب على علماء اللغة العربية، فمصطلح السَّرد"Narratology"من المصطلحات الحديثة التي ابتدعها أصحاب المذهب البنيوي في القرن الماضي. وكانت بداية المصطلح مع الشكلانيين الروس، ولكن يُعدُّ تزفتيان تودوروف"1939 - 2017م"هو من صاغ المصطلح لأول مرّة تحت اسم"Narrative logy" علم السَّرد، وقد وضعه رغبة في دراسة الخطاب أسلوبًا وبناءً ودلالةً. وقد ميّز ثلاثة جوانب؛ الجانب الأول: زمن السَّرد، وقد خصَّصه لدراسة العلاقات بين زمن القصة وزمن الخطاب. والجانب الثاني: مظاهر القصة، وبحث فيه الكيفية التي يتمُّ بها الإخبار عن الأحداث. والجانب الثالث: صيغ السَّرد، وهي الطريقة التي عُرضت فيها الحكاية (تودوروف، تزفتيان، 1990، ص31). ومنذ ذلك الوقت توالت الدراسات التي تناولت هذا المصطلح بالدراسة تارة، وبالتطبيق تارة أخرى.

ومن أبرز المشتغلين على المصطلح جيرار جينت"1930 - 2018" الذي استفاد كثيرًا من التنظير الذي وضعه تودوروف، حيث ميّز بين ثلاثة مصطلحات: القصة، والمحتوى

السَّردي، والخطاب. واقتداء بمقولات تودوروف قسّم جينت تحليله للمَحكي لثلاث مقولات رئيسة هي: مقولة الزمن، ودرس فيها العلاقة بين زمن الخطاب وزمن القصة. ومقولة الصيغة، ودرس فيها أنواع التمثيل السَّردي. ومقولة الصوت، وقد اتجه فيها إلى المتلقي وحلّل علاقة السارد بالمتلقي.

وقد تُرجِم هذا المصطلح إلى اللغة العربية بما يحمله من مفاهيم النقاد الغربيين، وانبرى غير واحد من النقاد لتحليله وبيان حدوده، فورد في معجم المصطلحات العربية أنَّ السَّرد هو "مصطلح حديثٌ للقصِّ، لأنَّهُ يشتملُ على قصِّ حَدثٍ أو أحداثٍ أو خبرٍ أو إخبارٍ سواءً أكانَ ذلك من صَميم الحقيقة أو من ابتكار الخيال، والسَّرد بعد ذلك عمليةٌ يقومُ بها السارِدُ أو الحاكي أو الراوي، وتؤدي إلى النص القصصي، والسَّرد موجودٌ في كلِّ نصٍّ قَصصيٍّ حقيقي أو مُتخيَّل"(وهبة، مجدي، المهندس، كامل، 1984، ص198). وينظر عزالدين إسماعيل إلى السَّرد على أنَّه وسيلة لنقل الحكاية من كونها صورة إلى لغة، أو كما يقول:"نقلُ الحادثةِ من صورتها الواقعية إلى صورةٍ لغويةٍ"(إسماعيل، عزالدين، 2003، ص187). أمَّا عبدالملك مرتاض فإنَّه يعود بالمصطلح إلى مفهومه المعجمي القديم، فيقول:"هو الطريقة التي يختارها الرِّوائي أو القاصُّ، أو حتَّى المُبدعُ الشعبيُّ الحاكي ليقدّم بها الحدثَ إلى المتلقي. فكأنَّ السَّرد إذاً هو نسيجُ الكلام، ولكن في صورةِ حَكي، وبهذا المفهوم يعودُ السَّرد إلى معناه القديم، حيث تميل المعاجم العربية إلى تقديمه بمعنى النسج أيضاً"(مرتاض، عبدالملك، 1993، ص83). أمَّا عبدالله إبراهيم فيرى أنَّ السَّرد هو"وصفُ أفعالٍ يُلتَمس فيه لكلِّ مَوصوفٍ فاعلاً وقصدًا وحالةً وعالمًا مُمكناً وتبدلاً وغاية، فضلاً عن الحالات الذهنية والشعورية والظروف المتصلة بها"(إبراهيم، عبدالله، 2005، ص13). ومهما يكن من أمر فإنَّ النقاد مهما اختلفوا في رؤيتهم للسَّرد لا يبتعدون عن الدلالة التي وضعت له عند ولادته، فهو صورة لغوية للحدث، يقوم بنسجها الحاكي أو الروائي أو القاصُّ، ويتواصل بها مع المتلقي.

رابعًا- وظيفة السَّارد:

يحدّد جيرار جينت خمس وظائف للسَّارد؛ وهي: الوظيفة السَّردية القائمة على الإخبار عن الحكاية، والوظيفة الإيديولوجية التي تتضمن التعليم أو الدعوة لمذهب معين، والوظيفة الانفعالية التي تَظهر فيها مشاعر السَّارد، ووظيفة إدارة الخطاب نفسه وتنظيمه داخليًا كنوع من التوجيه، والوظيفة التواصلية التي تتيح للسَّارد التواصل مع المَروي له. وقد

جعل من الوظيفة السَّردية وظيفة أساسية في كلِّ عمل أدبي، "فلا يمكن لأيِّ سارِدٍ أن يحيد عنها من دون أن يفقد صفة السَّارد"(جينت، جيرار، 1997، ص264). أمَّا باقي الوظائف الأخرى فهي وظائف فرعية قد تظهر واحدة منها-أو أكثر- في العمل الأدبي، أو قد تظهر كلّها. ولا يمكن للسَّارد أن يتحاشاها، فهي تُعدُّ من صميم الكتابة السَّردية، وفقدانها يعني إلغاء ماهية السَّرد.

وقد توسع بعضهم في وظيفة السَّارد، فتفرعت من الوظائف الخمس التي وضعها جينت وظائف أخرى منبثقة منها، فكانت الوظيفة الإبلاغية؛ وتظهر جليًا في القصص الرمزية التي تحمل مغزى(ضيف الله، سيد إسماعيل، 2008، ص295)، والوظيفة التنسيقية؛ وتتمحور حول تنسيق الزمن(المرزوقي، سمير، شاكر، جميل، 1986، ص108)، والوظيفة الاستشهادية؛ التي تتعلّق بمصدر الحكاية(عبدالله، محمد، 2011، ص338)، والوظيفة الشعرية؛ وهي من وظائف الاتصال، والوظيفة الانفعالية؛ التي تسمح للسَّارد بنقل مشاعره للمتلقي(بيرنس، جيرالد، 2003، ص58)، والوظيفة الاعتبارية؛ التي تجذب المتلقي لاستخلاص العبرة(ضيف الله، سيد إسماعيل، 2008، ص293)، والوظيفة الانطباعية؛ وتتجلى في أدب السيرة الذاتية حين يتحدَّث السَّارد عن أفكاره ومشاعره(المرزوقي، سمير، شاكر، جميل، 1986، 110)، والوظيفة الانتباهية؛ وتكون باستخدام أفعال الانتباه للتواصل مع المتلقي(بيرنس، جيرالد، 2003، ص148)، والوظيفة التوزيعية؛ وذلك حين يقوم السَّارد بسرد حدثين متزامنين، وغيرها من الوظائف الأخرى. وهي وظائف-كما نرى-معظمها ينضوي تحت ظلِّ الوظائف الخمس التي ذكرها جينت.

بعد هذه الإطلالة على وظائف السَّرد نعود إلى الرسائل التي كتبها الوزير الصَّاحب بن عبّاد، فقد قلنا سابقًا: إنَّ الصَّاحب اعتلى مكانة مرموقة عند أمراء بني بويه"334ه"، وهؤلاء الأمراء جرّدوا الخليفة في بغداد من كلِّ سلطة (يُنظر: المسعودي، 1968، ص334). وتفردوا بتدبير أمور الدَّولة، واستمرَّ الحال حتى منتصف القرن الخامس الهجري (يُنظر: أمين، أحمد، 2013، 1 / 265). وكان للوزير الصَّاحب دور في المنافحة عن البويهيين، والدفاع عنهم بالسيف وبالقلم، فكانت رسائله العشر في البشائر والفتوح تحمل في طياتها انتصارًا لحقوقهم المزعومة في الرِّياسة على سائر الأمراء الذين كانوا يطمحون إلى مدِّ نفوذهم على سائر البلاد الإسلامية. وقد ضمّن تلك الرسائل الأحداث التاريخية والمعارك التي جرت بين بعضهم البعض، فكان السَّرد إحدى تقنيات الكتابة التي لجأ إليها لنقل الوقائع إلى المتلقي.

وقد كان الصَّاحب يُصدِّر رسائله-كغيره من الكُتَّاب-بذكر صاحب نعمته، وهذا التصدير ظهر مَقرونا بذكر المكان الذي استقرَّ به الكاتب بعد أن وضعت الحرب أوزارها، وظهر الغالب والمغلوب. وهكذا أصبحت الظروف مُهيَّأة للكاتب كي يستعيد الأحداث من بدايتها، ويسرد لنا ما جرى من مناوشات كلامية وصراع عسكري. وهذا ما نلحظه في الرِّسالة التي كتبها في أعقاب الانتصار على قابوس بن وشمكير أمير طبرستان وجرجان. يقول في مقدمة رسالته: "كتابُنا-أدامَ اللهُ عزَّك-من المُعسكرِ بظاهر إستراباذ، وقد أنزلَ اللهُ علينا النصرَ، وسهَّلَ لنا بعلوِّ جدِّ مولانا الملك السيد العلوَّ والقهرَ، والحمد لله ربِّ العالمين، وصلواتهُ على النبيِّ مُحمدٍ وآلهِ وصحبهِ أجمعين"(ابن عبّاد، الصَّاحب، د.ت، ص3). فهو يبادر لنقل هذا الخبر السعيد للمُتلقي الذي ينتظر أخبار المعركة التي جرت بين جيش الأمير عضد الدَّولة، والأمير قابوس بن وشمكير. وقد حرص على ذكر الملك السيِّد-كما وصفه-حتّى لا ينسى المُتلقي أنَّ هذا النصر تمَّ على يديِّ صاحب نعمته. وقد جذب انتباه المُتلقي إليه حين خاطبه في بداية الرِّسالة، وذكر المكان الذي استقرَّ فيه بعد أن انتهت الحرب، وهي مدينة إستراباذ في شمال بلاد فارس. وبذلك جعل للسَّرد وظيفة، وهي وظيفة انتباهية تجذب المتلقي المُتلهّف لمعرفة أخبار المعركة. ومادام قد استرعى اهتمام المُتلقي فلا بأس أن يستطرد بذكر القيم الإيجابية التي يتمتّع بها عضد الدَّولة، ولي نعمته. فهذا النصر المؤزَّر لم يكن ليتحقّق إلا بفضل حكمته ونظرته الثاقبة للأمور. يقول: "وأحسنُ نِعَمِ اللهِ غُررًا وأوضاحًا، وأولاها إذا تُصفِّحت المواهب أخذًا بحظِّ السابقِ، وأَوْلاها إذا تُتبعت المنائح فوزًا بالعزِّ الشاهقِ، وأَحراها بأن تُثنى عليها ألسنةُ الأيامِ والليالي، وتُثنى عليها أعناق المحامدِ والمعالي، نعمةٌ صادفت حمدًا وشُكرًا، وجمعت فَتحًا ونَصرًا، ونظمت نُجحا وقهرًا، واستذلَّت مُمتطيًا للجحود لاهيًا عن غورهِ، مُستشريًا في الغموطِ عاديًا لِطورِه، وتلكَ النعمةُ عند مولانا السيد، إذ عضدَ الدَّولة، وتوّج الملّة، وحرسَ الأمةَ، وزحزحَ الغُمة، ورفد الخلافةَ، وبسط العدلَ والرأفةَ، وطهَّر البلاد، وعمرَ الحجَ والجهاد، وساسَ الجمهور، وسدَّ الثغور. فشهدت فتُوحه بأنَّهُ مُؤيَّد من عند الله، ومَحوط المُلكِ بيد اللهِ، لايُنازِعُ رأيَهُ منازعٌ إلا تُلَّ لجبينهِ، وعُوجلَ بقطعِ وتينِهِ. ولا يمانعُ رايته مُمانع إلا غُلَّت يَدُهُ دون مَطلبهِ، وأُقتطِعَ أمدهُ عن مهربهِ. ولم يَعُزَّ بالتحصن عليه مارقٌ، والتمنُّع عليه مارقٌ، والتمنُّع دونَه مشاقٌ مفارقٌ، إلا استولى عفوًا على غايات احتياله وأقاصِيه، ومُكّن منه القضاءُ سمحًا فاسُتنزل عن معاقِلِه وصياصيهِ"(ابن عبّاد، الصَّاحب، د.ت، ص3). ولايخفى على القارئ الرِّسالة المُبطَّنة التي يريد أن يوصلها الصَّاحب للمتلقي بعد أن استرعى انتباهه في البداية، فهذا الإسهاب في تعداد صفات عضد الدَّولة، وما تبعه من تحذير بحقِّ من يعاديه ما هو

إلا وعيد للمتلقي كي لا يتجرأ على معاداته وشقِّ عصا الطاعة بعيدًا عن حياضه. ولعلَّ انتصاره في هذه المعركة دليل على خسران من يناصبه العداء، أو يتحالف مع من يعاديه، أو يناصره، أو يتعاطف معه. وبذلك جعل للسَّرد وظيفة إبلاغية، بعد تلك الوظيفة الانتباهية الذي عمد إليها سابقًا، فقد استفاد الصَّاحب من هذا السَّرد في إرسال رسالة إلى المتلقي وتحذيره من معاداة عضد الدَّولة.

وبعد أن حقّق الصَّاحب غايته في تحذير المتلقي من معاداة عضد الدَّولة، يلتفت إلى سرد وقائع الأحداث كدليل واضح على صحة كلامه، فيقول:" وعيانُ ذلك لمُشاهده، قبلَ إقامةِ شواهده، حادثُ ما أجرانا اللهُ عليه في ظلّه، وباعتلاقِ حَبلِهِ، في أمرِ الغامطِ قابوس بن وشمكير، إذ مضى أخوه، وكان للطاعةِ عبدًا، ومع أيدي أوليائها يدًا"(ابن عبّاد، الصَّاحب، د.ت، ص4). وهنا ينفتح السَّرد بذكر اسم الزمان "إذ" مع الفعل الماضي، ويهيئ المتلقي لاستقبال الخبر، وهو انتقال بالزمان من الحاضر، زمن كتابة الرِّسالة، إلى الزمان الماضي قبل أن تنتهي الحرب ويظهر المُنتصِر. وقد عاد بالزمن إلى الفترة التي كان فيها قابوس مَغمورًا. يقول: "يكاد ضُمور القَدر يُخفي شَخصه، وغموضُ الذِّكر يتولَّى غَمْصَه، واستجار بنا وهو في قِرانِ ذُهولٍ، وضَمانِ خُمُولٍ، فظننناه إذا اصْطنعناهُ لمولانا الملك السيد ولنا-مُنتَضين له من غَمضِ الامتهان والابتذال، ومُستلِّين من عاديةِ الامتحانِ والاختلال-واسْتخلفناهُ على بلاد جُرجان وطبرستان يشكرُ النعمةَ ويرتهِنُها، ويُدمِن الخِدمةَ ويُحسُنها، فرفعنا خَسيسته، وجبرنا نَقيصته، وجمعنا لهُ بين التَمكين من هذه الأعمال والبِقاعِ، والإيثارِ بما فيها من المَعاقلِ والقِلاع. فحين رأتْ عَيناهُ، مالم يبلغْهُ مُناه، واتسعت نعمتُه، بحيث لم تنلْهُ همُّته.....نفخَ الشيطانُ في سَحَره ومَناخرِه، وضربَ بالأسدادِ بين أوائلِ أمرهِ وأواخرِه"(ابن عبّاد، الصَّاحب، د.ت، ص4). ونلحظ أنَّ الصَّاحب ينتقل بين ثلاثة أزمان؛ الزمن الحاضر، وهو زمن كتابة الرِّسالة، وقد لاحظنا ذلك في المقدمة، والزمن الماضي الذي كان فيه قابوس مغمورًا، فاصطنعه الصَّاحب وقدمه للأمير، فأضحى سيدًا، والزمن الذي تلاه قبل المعركة، وفيه شقَّ عصا الطاعة وانبرى معاديًا لعضد الدَّولة. وقد انتقل الصَّاحب بين هذه الأزمان ليُظهِر للمُتلقي المراحل التي مرّت بها العلاقة بين الطرفين؛ من خلال التنسيق بينها لتؤدي هذه الوظيفة، أو كما أسمها جينت إدارة الخطاب، حيث يقوم السارد بالانتقال بين الأزمان، وتنسيق الخطاب بما يتوافق والرِّسالة التي يريد إيصالها للمتلقي.

ويستمرُّ الصَّاحب بسرد الأحداث في الزمن الماضي، قبل المعركة، ويكشف عن قيمة أخلاقية في عضد الدَّولة، وهي الحِلم، فعلى الرَّغم من تجرؤ قابوس في غيّه فقد صبر عليه عسى أن يعود إلى رشده. يقول :"ومولانا الملكُ السَّيدُ في كلِّ ذلك يُوَلّيه صَفحهُ، ويُوليه العَفو من عفوه، فيتجاوز عنه حِلمًا، ولا يتجاوز به التنبيه كَظمًا، ونسلك فيه هذا المذهب ونعتمده، ونَحذّره في أثناء الإغضاء ونُرَشِّده، رجاءَ أن يَنْزِعَ أو يَتَّزِعَ، أو يُقْلِعَ أو يَرتَدِعَ، إلى أن عادَ بُدُؤُّ شرِّه فادحًا"(ابن عبّاد، الصَّاحب، د.ت، ص4). ونشهد ارتفاع صوت الصَّاحب/ السَّارد عندما كشف عن مشاعره المتضامنة مع عضد الدَّولة، موظفًا السَّرد ليزيح اللثام عن أفكاره ومشاعره في التعامل مع الأمير قابوس بن وشمكير.

إنَّ الصَّاحب يَعي تمامًا أنَّه لا يمكن أن يكسب ودَّ المتلقي من دون تبرير موقف عضد الدَّولة في حربه مع قابوس، فهو يريد أن يصرف نظره عن الأسباب الحقيقية الكامنة في رغبة عضد الدَّولة في الاستئثار بالحكم بعد خلافه مع أخيه فخرالدَّولة. وقد جعل من قابوس مسؤولًا عن تصدّع العلاقة بين الأخوين، فالأخير مال إلى فخرالدَّولة وأغراه بالخروج على أخيه، وحماه في دياره. يقول: "وما غادر مع ذلك من المَروق مناطًا إلا بلغَه ولجَجَ، ولا بابًا من الفسوق إلا قرعَه وولجَ، إلى أن صارَ السببَ في اِستزلالِ فلان، فدلاه بغرُوره، واستهواه إلى ثُبوره، كأنَّ لا رِقْبَةَ عليه ولا مُحاسبةَ، ولا عصمةَ بينَه وبين الطاعةِ ولا مُناسبة"(ابن عبّاد، الصَّاحب، د.ت، ص5). لكنَّ ذلك التحالف لم ينفع الطرفين، فالخير الذي يمثله عضدالدَّولة لا بدَّ أن ينتصر على الشرِّ الذي يمثله قابوس وفخر الدَّولة، ولهذا "تصدّع شَملُ المُقيم على العُقوق، والمُديم للمُروقِ، تصدَّعا نَتجته الخيفةُ والمَهابةُ، لا الرُّجعى والإنابة"(ابن عبّاد، الصَّاحب، د.ت، ص5). وقد وصل جيش عضد الدَّولة إلى باب إستراباذ المواجه لطبرستان، "فبردت أرواحُ الضَّلال، وعلمُوا أن سَعيهم في وبالٍ وخَبالٍ"(ابن عبّاد، الصَّاحب، د.ت، ص5). وهكذا تخلّص الناس من جور ذلك الظالم "فقد كان أهلُها من عَسْف المارق وخَبْطه، فيما ضَاعفَه عند نُهوضِنا لمحاصرتِه وضَغطهِ، فأرخى من عِناقِ تلك الرعيةِ، واُستخلصَت من أنياب العَسفِ ومَخالب الأذيةِ"(ابن عبّاد، الصَّاحب، د.ت، ص5). وبعد هذا الانتصار المُؤزَّر تمَّ العفو عن الأسرى ممَّن شاركوا في القتال، تنفيذًا لأحكام الشرع في الحروب، وحقنًا لدماء المسلمين (يُنظر: ابن عبّاد، الصَّاحب، د.ت، ص8).

وختم الصَّاحب رسالته بعد أن صرَّح بالغاية التي من أجلها أنشأها. يقول: "طالعناك-أدام الله عزّك-بهذا الفتح الزاهر، والنُّجح الباهر، لتُوَفِّر حظَّك من الأُنس لَه، والشُّكر عليه،

وتنطـقَ أعـوادُ المَنابـرِ وألسـنةُ المحاضـرِ بـه، فَرَأْيَـكَ-أدام الله عزّك-فـي إعلامنـا مَوقـعَ هـذه البُشـرى لديـك، ومـا تـوردُه مـن السُّـرور عليـك، وذكـرِ مـا نتوقعُـه مـن خَبـركَ موفَّقـا، إن شـاء الله"(ابـن عبّـاد، الصَّاحـب، د.ت، ص8). فالغايـة مـن رسـالته، نشـر البهجـة والسـرور بأخبـار الانتصـارات الباهـرة التـي لـم تكـن تتحقّـق إلّا بحمـد الله -عـزَّ وجـلَّ-أولًا، وحكمـة الأميـر ثانيًـا.

لقد كان السَّـرد أداة لنقـل أخبـار المعـارك إلـى المتلقـي، إضافـة إلـى الوظائـف الأخـرى التـي قـام بهـا؛ ومنهـا الوظيفـة الانتباهيـة التـي ركـزت علـى جـذب المتلقـي، والوظيفـة الإبلاغيـة التـي تضمنـت الدعـوة إلـى طاعـة الأميـر، والوظيفـة التنسـيقية التـي عملـت علـى ترتيـب الزمـان فـي الرِّسـالة. ويمكـن أن نضيـف الوظيفـة الشـعرية كوظيفـة لازمـة للرسـالة، أو كمـا قـال عبدالسـلام المسـدي عنهـا هـي "إكماليـة تترصـد النـصَّ مـن مِنظـار لغوي"(المسـدي، عبدالسـلام، 1994، ص115). فالصَّاحـب اتـكأ علـى هـذه الوظيفـة فـي التواصـل مـع المتلقـي، مـن خـلال التشـكيل اللغـوي الجمالـي للرسـالة، إذ نجـده يضمّـن السَّـرد صـورًا فنيـة أوجـزت كثيـرًا مـن الأحـداث. فقـد عبّـر عـن شـدة الحـرب أهوالهـا، فقـال: "شَـمَّرتْ الحَـربُ عـن سَـاقِها، وتَنمّـرتْ بِحُمـرَة أحداقِهـا، ودارَتْ كأسُ المـوتِ دِهاقـا، وعـادَ لقـاءُ القِـرن للقِـرنِ عِناقا"(ابـن عبّـاد، الصَّاحـب، د.ت، ص7). وعبَّـر عـن المصيـر المحتـوم بقولـه:" الحَتـف يُتَـاح دفعـةً فـلا يبقـى ولا يَـذر، والحيـن يُسـاقُ ضربـةً فـلا يؤخَّـرُ ولا يُنظر"(ابـن عبّـاد، الصَّاحـب، د.ت، ص7). وعبَّـر عـن فشـل عـدوه وخسـرانه بقولـه: "لـم يكتسـبْ بِطلـب الفُرصـة، إلّا تجـرّع الغُصَّـة، ولا مـن تتبّـع الغِـرَّة، إلا تـدرّع الحَرَّة"(ابـن عبّـاد، الصَّاحـب، د.ت، ص7). وغيرهـا مـن الصـور الفنيـة التـي أعطـت السَّـرد جماليـة وحيويـة، وفتحـت الخيـال أمـام المتلقـي ليحلّـق محاكيًـا أحـداث المعـارك كماوصفهـا الكاتـب.

خامسًا-السَّرد والوصف:

يتشـكل البنـاء السَّـردي مـن ثلاثـة عناصـر هـي: الـراوي، والمَـروي، والمَـروي لـه. والراوي هـو العنصـر الرئيـس فـي تشـكيل النـص المَـروي، إذ إنَّـه يتحكـم فـي بنـاء الأحـداث، واختيـار الطريقـة المناسـبة لتقديـم الحكايـة للمَـروي لـه. أمَّـا المَـروي فيتخـذ شـكل المواقـف والأحـداث فـي فضـاءٍ زمانـيٍّ ومكانـيٍّ يتخيّـره الـراوي، ويتواصـل بـه مـع المَـروي لـه الـذي يتلقّـى النـص ويتفاعـل معـه (بيرنـس، جيرالـد، 2003، ص119 - 120).

ولكـي يتـمَّ الـراوي مهمتـه فـي تقديـم النـصِّ للمُتلقـي ينبغـي أن يسـتعين بالوصـف الـذي يرافق السَّـرد فـي الكشـف عـن الأحـداث والشـخصيات والزمـان والمـكان. ويُعرَّف الوصـف بأنَّـه "نظامٌ

أو نسقٌ من الرموز والقواعد يُستعمل لتمثيل العبارات وتصوير الشخصيات، أي جميع العمليات التي يقوم بها المؤلِّف لتأسيس رؤيته الفنية"(بورونوف، رولان، وأوئيلية، ريال، 1991، ص157). أمَّا عن العلاقة التي تربطه بالسَّرد فتتمثل في ظهورهما "بوساطة مقطع من الكلمات (التتابع الزمني للخطاب)، لكَّن موضوعهما يختلف، فالسَّرد يعيد التتابع الزمني للحوادث، بينما الوصف يمثل موضوعات متزامنة ومتجاورة في المكان، ويُستخدم الوصف عادة لإبداع إيقاع السَّرد فهو إمَّا يُثير استرخاءً وانجذابًا من النفس إلى الموصوف أو يثير توترًا وتنافرًا منه، وفي بعض الأحيان يكون بمثابة افتتاحية للنصِّ الروائي"(بورونوف، رولان، وأوئيلية، ريال، 1991، ص107). وفي اجتماعهما يتكامل النصُّ، فالسَّرد الذي يمنح النصَّ حيوية يجتمع مع الوصف الذي يقدم وقفة تأملية للأحداث. وتبقى قدرة الراوي على توظيف الوصف في مكانه الصحيح، وبالمقدار الذي يراه مناسبًا بعيدًا عن الإطالة غير المرغوب بها.

وقد جاء السَّرد عند الصَّاحب مقترنًا بالوصف في رسالته، وقد راوح بين السَّرد والوصف في تناوب مرتب. فبعد أن ذكر المكان الذي استقرَّ فيه بعد ألقت الحرب أوزارها لجأ إلى وصف شخصية الأمير عضدالدَّولة، وما يتمتّع به من قيم أهلته لاعتلاء سلّم السلطة، ثمَّ انتقل إلى وصف شخصية الأمير قابوس بن وشمكير الذي يمثّل هنا الشخصية السلبية. وقد قدّم دليلاً على كلامه ما جرى من أحداث بين الطرفين، فبعد أن وصف الشخصية الأولى قال: "وعيانُ ذلك لمُشاهدهِ، حادثُ ما أجرانا اللهُ عليه في ظلّه، وباعتلاق حَبلهِ، في أمرِ الغامطِ قابوس بن وشمكير"(ابن عبّاد، الصَّاحب، د.ت، ص3 - 4). أما الشخصية الثانية فسلّط الضوء على خيانتها للعهد، ثمَّ سرد ما كان من أمرها مع شخصية عضدالدَّولة، فقال: "فظننّاهُ إذا اصطنعناهُ لمولانا الملك السيد ولنا-مُنتضين له من غمدِ الامتهانِ والابتذال، ومُستلّين من عاديةِ الامتحانِ والاختلالِ-واستخلفناهُ على جرجان وطبرستان..."(ابن عبّاد، الصَّاحب، د.ت، ص4). ثمَّ أكمل سرد الأحداث إلى نهايتها.

ونلحظ أنَّ الصَّاحب لم يتطرق إلى وصف الشخصيتين وصفًا جسديًا بل كان يسلّط الضوء على الناحية الأخلاقية في شخصيتيهما؛ وذلك لأنَّ هدف الكاتب التأثير في المتلقي، واستمالته إلى طرف الأمير عضدالدَّولة، وتسويغ موقفه من الأمير قابوس، ولاسيما أنَّه يعلم أنَّ الصراع ليس صراعًا بين الحقِّ والباطل، بل هو صراع على السلطة وتقاسم النفوذ، فعضدالدَّولة هو نفسه استولى على السلطة، وقام مقام الخليفة في السيادة، ولم يترك له سوى اسمها.

فغاية الوصف عند الصَّاحب تتمثل في رفع شأن الأمير عضدالدَّولة، وسيادته على غيره من الأمراء، وهذه السيادة تنبع من تمتّعه بالفضائل الأخلاقية التي أهَّلته للرّياسة على غيره من الأمراء، وكلُّ من يعاديه فإنَّه يعادي الحقَّ، ويصبح منبوذًا ينبغي محاربته حتَّى يعود إلى الطاعة والاستسلام.

ولكن هذا لا يعني أنَّ الصَّاحب اقتصر على هذه الوظيفة فحسب بل جعل من الوصف وسيلة لإضفاء لمسة زخرفية للرسالة، وخصوصًا حين يلجأ إلى التهويل في وصف الجيش أو المعارك. فنراه يصف جيش عضد الدَّولة فيقول: "ووافانا من حضرة مولانا أبوحرب زيارُ بن شهرا كويه مولى أمير المؤمنين-أدامَ الله عزَّهُ-وعينه فِرَارُه، واختارَه حيث اختيارهُ، قد نجَّذته الحروب، وخفَّت عليه الخُطوب، زعيمًا على من ضامَّه من خيلٍ، كقطعِ اللّيل، ورجالٍ خُلِقوا لقطعِ الآجال.."(ابن عبّاد، الصَّاحب، د.ت، ص5 - 6). ويصف الحرب فيقول: "وشمّرت الحربُ عن ساقها، وتَنمَّرت بخُمرة أحداقِها، ودارت كأسُ الموتِ دِهاقًا، وعاد لقاءُ القِرن للقِرن عناقًا، فكسرنا المَداييرِ بالذَّيلمِ زَرقًا، وبالغُلمان رشقًا.."(ابن عبّاد، الصَّاحب، د.ت، ص7).

وهذا الوصف جاء في سياق السَّرد، إذ كان الصَّاحب يلجأ إلى هذه التقنية أثناء سرده لأحداث المعارك، فيعبّر بذلك عن قوة جيش عضدالدَّولة، فينقل للمتلقي شدّة المعارك التي خاضها والتي أثمرت في النهاية عن نصرٍ عظيم استحقّه.

سادسًا- الأشكال السَّردية:

التزم الكُتَّاب في العصر العباسي، ولاسيما كُتَّاب الرسائل الرسمية، بعناصر الرِّسالة، ونادرًا ما نجد كاتبًا غرَّد بعيدًا عن السِّرب، فابتدع لنفسه منهجًا مختلفًا عن الكُتَّاب الآخرين. فقد أضحت هذه العناصر إلزامية لكلِّ كاتب احترف صنعة الإنشاء، وكتب بين يديّ الخليفة أو الوزير أو الأمير، فكان لسانه الذي يُخاطب به في المناسبات الرسمية، وسيفه الذي يذود عنه في الحرب والسلم.

وقد التزم الصَّاحب في رسائله الرسمية بهذه العناصر، لكنَّه تميَّز من باقي الكُتَّاب باستخدامه ضمير المتكلم، فهو لا يعدُّ نفسه كاتبًا يكتب في ديوان الأمير عضد الدَّولة، بل هو كاتب يدافع عن سلطة هو جزء منها، ووزير له شأنه عند بني بويه. ومادام الأمر كذلك فإنَّ صيغة الخطاب في رسائله تختلف عن صيغ الخطاب التي كتبها غيره في الرسائل الرسمية، إذ يغلب على رسائله

الخطاب بضمير جمع المتكلّم، وذلك إشارة إلى انتمائه إلى السلطة التي يعتلي هرمها عضد الدَّولة. وهو يبدأ رسالته بقوله: "كتابُنا" إشارة إلى أنَّه جزء من منظومة السلطة، ثمَّ نراه يستخدم ضمير الغائب في سرد الأحداث، فيذكر تفاصيل الأحداث بين الأمير من جهة، وقابوس بن وشمكير، من جهة أخرى، مع اختلاف طريقة السَّرد، ففي حين يَكثُر المدح والتهليل للأول، يكتفي بضمير الغائب المجرّد مع الثاني. وتمتلئ صفحات الرِّسالة بالأفعال السَّردية المقترنة بالضمير "نا"؛ كقوله: "اصطنعناه، استخلفناه، نقلناه.." للدلالة على دور الأمير عضد الدَّولة والوزير الصَّاحب في وصول قابوس بن وشمكير إلى السلطة، وقد وظّف أفعالًا أخرى تظهر مكانته في السلطة، كقوله: "راسلنا، بسطنا، أمضينا..". وبالمقابل نجد الأفعال التي تُظهر قابوس بن وشمكير بمظهر الظالم المنبوذ الذي لاناصر له. كقوله:" استبدَّ، تلقّب، استولى، غادر، بلغ، ولجَ، استهوى...".

ولكن هذا لا يعني أنَّ الصَّاحب اقتصر على صيغة جمع المتكلِّم، فقد استخدم صيغة الغائب مع عضدالدَّولة مع الإكثار من ذكر اسمه وصفاته، بينما ذكر اسم الأمير قابوس مرّة واحدة، واستخدم الضمير أو الصفة للإشارة إليه في المواضع الأخرى؛ وذلك للتقليل من شأنه. وفي لجوئه إلى الضمير الغائب يوهم المتلقي بالحيادية في نقل الأحداث، ويبثُّ في أثناء ذلك ما يوجه المتلقي إلى الطريق التي يريدها؛ لأنَّ هذا الضمير "وسيلة صالحة لأن يتوارى وراءها السارد فيمرّر ما يشاء من أفكار، وإيديولوجيات، وتعليمات، وتوجيهات، وآراء؛ دون أن يبدو تدخله صارخًا ومباشرًا"(مرتاض، عبدالملك، 1998، ص153). وفي اختياره لهذا الضمير حماية له "من إثم الكذب بجعله مجرّد حاكٍ يحكي، لا مؤلِّف يؤلّف، أو مبدع يُبدع، ولقد يتولَّد عن هذا الاعتبار انفصال النصِّ عن ناصّه؛ وذلك بحكم أنَّه مجرّد وسيط أدبي ينقل للقارئ ما سمعه أو علمه أو سَوائه"(مرتاض، عبدالملك، 1998، ص154).

لكنَّ الصَّاحب في نهاية الرِّسالة يُفاجئنا بانتقاله من ضمير الغائب إلى ضمير المخاطب، وكأنَّه تخلّى عن وظيفته في نقل الأحداث وانتقل إلى وظيفة أخرى تتجلّى في توجيه المتلقي وإرشاده إلى ما يجب أن يقوم به بعد أن بشّره بهذا النصر المؤزَّر. فهو يخاطبه قائلًا: "طالعناك -أدام الله عزَّك-بهذا الفتح الزاهر، والنُّجح الباهر، لتُوَقِّرَ حظَّك من الأُنس له، والشكر عليه، وتُنطق أعوادَ المنابر وألسنة المحاضر به، فرأيَكَ-أدامَ اللهُ عزَّك- في إعلامنا موقع هذه البُشرى لديك، وما توردهُ من السرور عليك، وذكر ما نتوقعه من خبرك موفقًا إن شاء الله"(ابن عبّاد، الصَّاحب، د.ت، ص9). وكأنَّ ضمير الجمع(نحن) لابدَّ أن يفرض حضوره في الرِّسالة مهما حاول الصَّاحب أن يكبح جماحه في السَّرد، فهو لا يستطيع أن يتخلّى عن دوره كوزير له شأنه في الحكم البويهي، والحيادية التي أوهم بها المتلقي في البداية تتلاشى في نهاية الرِّسالة لتظهر

وظيفة الكاتب في إعلاء كعب الأمير بين منافسيه. وتزداد حدّة التوجيه في توظيف أسلوب الأمر، وخصوصًا حين طلب من المتلقي أن ينشر هذه الخبر السَّار بين الملأ، لتعمَّ الفرحة في أرجاء الدَّولة ابتهاجًا بهذا الحدث العظيم.

إنَّ استخدام ضمير المخاطب تدخل مباشر من الصَّاحب في وعي المتلقي، وفيه مجانبة للحيادية في السَّرد، وتوظيف لهذه الأداة في غاية سياسية تتجلى في إثبات حقٍّ بني بويه في السيادة والرِّياسة. وهذا يشمل أيضًا السَّرد بضمير الغائب، فبالرغم من أنَّه اعتمد عليه اعتمادًا رئيسًا في سرد الأحداث فقد جعل من عضدالدَّولة الغائب حاضرًا في كلِّ الأحداث، من خلال توليه زمام الأمور، وامتلاكه ناصية المبادرة التي أودت في النهاية إلى النصر.

سابعًا- الزمان والمكان:

لا يمكن للسَّرد أن يحقّق هدفه إلا بوجود الحيزِ المكانيِّ والحيزِ الزمانيِّ، فهما عنصران مُكمِّلان للسَّرد، إذ من العبث أن نتصور سردًا من دون زمانٍ يحتويه أو مكانٍ يكتنفه. فالزمن هو صيرورة الأحداث وفق منظومة لغوية متتابعة للتعبير عن واقع الحياة، ويمثل المكان مكونًا محوريًا في بنية السَّرد بحيث لا يمكن تصوّر الحكاية من دون مكانٍ، فلا وجود للأحداث خارج المكان، ذلك أنَّ كلَّ حدث يأخذ وجوده في مكانٍ محدَّد وزمانٍ معينٍ (بوعزّة، محمد، 2010، ص99).

ويميز تودوروف بين ثلاثة أزمنة: زمن القصة، وزمن السَّرد، وزمن القراءة. أما الزمن الأول فهو الزمن الخاص بالعالم التخيُّلي، وأما الزمن الثاني فهو زمن كتابة السَّرد، وأما الزمن الثالث فهو زمن قراءة السَّرد(يقطين، سعيد، 2006، ص42). وترتبط هذه الأزمان بعلاقة وثيقة بالمكان؛ إذ إن الشخصيات تتحرك في حيزٍ يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالزمان الذي يحدّد ملامحها وكلَّ ما يتصل بوسطها الطبيعي، وبأخلاق الشخصيات وشمائلهم، وأساليبهم في الحياة (عاشور، عمر، 2010، ص30).

والصَّاحب جعل من الزمان والمكان عنصرين مُهمَّين في السَّرد، فقد بادر إلى ذكر المكان في مقدمة رسالته. فقال:"كتابنا-أدامَ اللهُ عزَّك-من المُعسكرِ بظاهر إستراباذ، وقد أنزلَ اللهُ علينا النصرَ، وسهَّلَ لنا بعلوِّ جدِّ مولانا الملك السيد العلوَّ والقهرَ، والحمد لله ربِّ العالمين، وصلواتهُ على النبيِّ مُحمدٍ وآلهِ وصحبهِ أجمعين"(ابن عبّاد، الصَّاحب، د.ت، ص3). وذكرُ المكان في هذه البداية جاء مقترنًا بالزمن الماضي بعد أن ظهر المُنتصِر، وقفل الجيش عائدًا إلى دياره.

وهو زمن ما بعد الحدث الرئيس، وقد تفرغ الصَّاحب لتجميع أحداث المعركة، وصياغة تفاصيلها، ونقلها إلى المتلقي. والإفصاح عن المكان في بداية السَّرد يشوّق المتلقي لمعرفة تفاصيل الأحداث، إذ إن وصولهم إلى هذا المكان يثير تساؤلات كثيرة، وخصوصًا أنَّه بشّر المتلقي بالنصر المؤزَّر. لكن قبل أن يباشر الصَّاحب بنقل الأحداث ينتهز الفرصة لتعداد خصال الأمير عضدالدَّولة، فقد كان كريمًا ووفيًّا في علاقته مع قابوس بن وشمكير، فقد رفعه بعد أن كان مغمورًا. وفي ذلك عودة إلى الزمن الماضي قبل أن تسوء العلاقة بينهما، أو بالأحرى قبل أن يشقَّ الأخير عصا الطاعة. ثم ينتقل الصَّاحب إلى الزمن الماضي اللّاحق، حيث تأزمت العلاقة بينهما وتطوّرت إلى مرحلة الحرب.

وبذلك تنقَّلَ السَّرد بين أربعة أزمان؛ زمن السَّرد في إستراباذ (زمن كتابة الرِّسالة)، وزمن الصفاء في العلاقة بين الأميرين، وزمن العداوة بينهما، وزمن الحرب. وهذا الانتقال بالزمن صاحبه انتقال في المكان، ففي الزمن الأول حدَّد المكان بإستراباذ، وفي الزمنين؛ الثاني والثالث جعل المكان متخيلاً في قصر الأمير عضدالدَّولة (بغداد)، وفي إمارة قابوس بن وشمكير(جرجان وطبرستان)، والزمن الثالث كان في أرض المعارك(خُراسان).

وعلى الرَّغم من أنَّ الصَّاحب لا يُسهب في وصف الزمان والمكان، فإنَّنا مع ذلك نلحظ تأثيرهما في السَّرد، ففي إستراباذ نجد الصَّاحب يعبّر عن الطمأنينة والارتياح بعد انتهاء المعارك، وهو الزمن الذي تفرّغ فيه لتذكّر تفاصيل الأحداث وإعادة ترتيبها؛ كي يرويها للمتلقي. ولهذا نجده يُسهب بالحديث عن الأمير ومنجزاته، فالمكان والزمان يسمحان له أن يستثير قريحته، ويدبج الكلام كيفما يشاء، ولاسيما أن زهوة النصر تتملكه وتدفعه إلى الكتابة. وحين انتقل للحديث عن أيام الصفاء في الماضي جعلنا نتخيّل العلاقة التي كانت تجمع الأميرين سواء في بغداد أو في جرجان وطبرستان(ابن عبّاد، الصَّاحب، د.ت، ص4). لكن هذا المكان الذي شهد أيام الصفاء تحول إلى مرتع للخوف والموت بعد أن أرسل عضد الدَّولة جيشه العرمرم بقيادة أحد قواده. يقول:"فأخرج فلانًا إلى جبلِ شهريار، وبه أخونا أبوالحسن عليُّ بن كَامَة، مولى أمير المؤمنين-أدامَ الله عزّه-من لا يَصْطلي المخالفون بناره، حتَّى يَحرقهم بِشرارهِ، وقد نسخَ الجبل قرنًا بعد قَرن، وأوسع أركانهم وَهنًا بعد وَهنٍ، فردُّوا ناكصينَ على الأعقابِ، مُتقمصِين لباسَ الخُسر والتَّباب"(ابن عبّاد، الصَّاحب، د.ت، ص5). وهكذا تحوَّل المكان الآمن إلى مكان للموت والخراب بعد أن تقابل فيها الضدان، واشتعل لهيب الحرب، فأضحى جحيمًا يصطلي الجميع بناره. لكن سرعان ما تبدل الحال، وعاد السلام إلى ربوع الإمارة، فبُسِط فيها الخير والإحسان، ونَعِم الجميع

بالأمـن والأمـان.

إنَّ هـذا الانتقـال فـي الزمـان والمـكان يُثيـر خيـال المتلقـي، ويجعلـه يتفاعـل مـع الأحـداث التـي يرويهـا الصَّاحـب، وخصوصًـا مـع اسـتخدامه للسَّـرد اللاحـق، وعودتـه بالزمان إلـى البداية، ثـم انتقالـه بالزمـان إلـى مـا قبـل تـأزم الحـدث. وكلُّ ذلـك صاحبـه انتقـال بالمـكان، فـكان المـكان مـع الزمـان يشـكلان فضـاءً رحبًـا لخيـال المتلقـي.

ثامنًا- الخاتمة:

لقـد أضفـى السَّـرد حيويـة علـى رسـائل الصَّاحـب الحربيـة، وخصوصًـا حيـن جعـل الكاتـب للسَّـرد وظائـف تتناسـب مـع أيديولوجيتـه السياسـية. وكان السَّـرد مـع الوصـف يشـكلان عنصريـن فعّاليـن للتأثيـر فـي وعـي المتلقـي، وفـي بـثِّ الأفـكار التـي تمجّـد سـلطة عضدالدَّولـة، وتحـذّر المخالفيـن مـن شـقِّ عصـا الطاعـة. أضـف إلـى ذلـك تنقّلـه فـي الزمـان والمـكان بحسـب مُقتضـى السَّـرد، فالسـلام يعـمُّ فـي المـكان حيـن يلتـزم النـاس بالطاعـة، ويتحـول إلـى خـراب حيـن يرفضـون الانصيـاع والخضـوع. وهـذا مـا حـاول الصَّاحـب التركيـز عليـه حيـن تنـاول العلاقـة بيـن عضـد الدَّولـة وقابـوس بـن وشـمكير، قبـل الحـرب وبعدهـا.

وقـد حـاول الصَّاحـب أن يوهـم المتلقـي بالحياديـة فـي نقـل أحـداث المواجهـات والمعـارك، مـن خـلال توظيفـه للضميـر الغائـب، ولكـن هـذا الأمـر لـم يكـن ليكبـح جمـاح الـ(نحن)التـي كانـت تظهـر باسـتمرار فـي السَّـرد بحيـث طغـت عليـه. أضـف إلـى ذلـك خطابـه المباشـر للمتلقـي فـي خاتمـة الرِّسـالة، وقـد أوصـاه بنشـر هـذا الانتصـار العظيـم بيـن النـاس. كلُّ ذلـك يشـير إلـى أنَّ السَّـرد لـم يكـن بريئًـا مـن الميـل والهـوى، بـل كان مـن أجـل إعـلاء كعـب السـلطة التـي يسـتظلُّ بهـا؛ سـواء بالترغيـب أو بالترهيـب.

قائمة المصادر والمراجع:

إبراهيم، عبدالله (2005). موسوعة السَّرد العربي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

ابن الأثير، الجزري (2009).. الكامل في التاريخ. دار الفكر.

إسماعيل، عزالدين (2013). الأدب وفنونه (ط 6). دار الفكر العربي.

أمين، أحمد (2013). ظهر الإسلام. مؤسسة هنداوي.

بورنوف، رولان وأوئيليه، ريال (1991).عالم الرواية (ترجمة نهاد التكرلي ومحسن الموسوي). دار الشؤون الثقافية العامة.

بوعزة، محمد. (2010). تحليل النص السَّردي، منشورات الاختلاف.

بيرنس، جيرالد (2003). قاموس السَّرديات (ترجمة السيد إمام). ميريث للنشر.

التوحيدي، أبو حيان (1961). مثالب الوزيرين (تحقيق إبراهيم الكيلاني). دار الفكر.

تودوروف، تزفتيان (1990). الشعرية (ط 2) (ترجمة شكري مبخوت ورجاء سلامة). دار توبقال للنشر.

جينت، جيرار (1997). خطاب الحكاية (ط 2) (ترجمة محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي). المشروع القومي للترجمة، مصر.

الحموي، ياقوت. (د.ت). معجم الأدباء. مكتبة عيسى البابي الحلبي.

الشكعة، مصطفى (1993). الأدب في موكب الحضارة الإسلامية (كُتَّاب النثر). الدار المصرية اللبنانية.

ضيف الله، سيد إسماعيل (2008). آليات السَّرد بين الشفاهية والكتابية. الهيئة العامة لقصور الثقافة.

ابن عباد، الصَّاحب (د.ت). رسائل الصَّاحب بن عباد (تحقيق عبدالوهاب عزام وشوقي ضيف). دار الفكر العربي.

عاشور، عمر. (2010). البنية السَّردية عند الطيب صالح. دار هومة للطباعة والنشر.

عبدالله، محمد (2011). أوراق مختارة من ملتقى السَّرد العربي. رابطة الكتاب الأردنيين مطبعة السفير.

ابن فارس، أحمد. (د.ت). معجم مقاييس اللغة (تحقيق عبدالسلام هارون). دار الفكر.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد (1998). كتاب العين (تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي). دائرة الشؤون الثقافية والنشر.

الفيروز أبادي (2005). القاموس المحيط (تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرِّسالة). مؤسسة الرِّسالة.

مرتاض، عبدالملك (1993). ألف ليلة وليلة لادراسة سيمائية لحكاية حمّال بغداد). المطبوعات الجامعية.

مرتاض، عبدالملك (1998). في نظرية الرواية. عالم المعرفة، *240*. الكويت.

المرزوقي، سمير، وشاكر، جميل (1986). مدخل إلى نظرية القصة. الدار التونسية.

المسدي، عبدالسلام. (1994). المصطلح النقدي. مؤسسات عبدالكريم عبدالله للنشر والتوزيع.

المسعودي (1968). التنبيه والإشراف. دار التراث.

ابن منظور (2000). لسان العرب. دار صادر.

وهبة، مجدي، والمهندس، كامل (1984). معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب(ط 2). مكتبة لبنان.

يقطين، سعيد (2006). إنتاج النص الروائي (ط 3). المركز الثقافي العربي.

الترجمة الصوتية لمصادر ومراجع اللغة العربية: Romanized Arabic References:

ʾibrāhym ،ʻabdālllaha 2005). mawsūʻata al-ssardi alʻarabiyyiālmuʾassasatu alʻarabiyyatu lil-ddirāsāti wa-al-nnashri

ibna alʾathīri aljazariyya 2009).. alkāmila fī al-ttārīkhidāru alfikri

ʾismāʻyl ،ʻizzālddīna 2013). alʾadaba wafunūnahu ṭ 6). dāra alfikri alʻarabiyyi

ʾamynun ،ʾaḥamida 2013). ẓahara alʾislāmumuʾuassasatu hindāwiyyin

bwrnwf ،rūlāna wʾawʾīlyh rīāla 1991). ālama al-rriwāyati tarjamata nuhādu al-tkrly wmḥsn almūsawiyyadāra al-sshuʾūni al-tthaqāfiyyati alʻāmmati

bwʻzh ،muḥammadun 2010). taḥlīla al-nnaṣṣi al-ssardiyyi manshūrāti alikhtilāafi

byrns ،jyrāld 2003). qāmūsa al-ssardīāti tarjamata al-ssayyidi ʾimāmamyryth lil-nnashri

al-ttawḥīdiyyu ،ʾabū ḥayyāni 1961). mathāliba alwazīrayni taḥqīqa ʾibrāhym alkaylāniyyadāra alfikri

twdwrwf ،tzftyān 1990). al-sshiʻriyyata (ṭ 2)(tarjamata shukriyya mabkhūtin warajāʾi salāama#idāra twbqāl lil-nnashri

jynt ،jyrār 1997). khiṭāba alḥikāyati ṭ 2)(tarjamata muḥammada muʻtaṣima waʻabda aljalīli alʾazdiyyi waʻumara ḥallīālmashrūʻa alqawmiyya lil-ttarjamati miṣrun

ulḥumuī ،yāqūtun dtmuʻjama alʾudabāʾimaktabatu ʻīsā albābiyyi alḥalbiyyi

al-shkʻh ،muṣṭafā 1993). alʾadaba fī mawkibi alḥaḍāarti alʾislāmiyyati kuttāba al-nnathriālddāra almiṣriyyata al-llubnāniyyata

ḍayfu al-lhi sayyida ʾismāʻyl 2008). ʾāliyyāti al-ssardi bayna al-sshifāhiyyati wa-al-kitābiyya#iālhayʾiatu alʻāmmatu liquṣūri al-tthaqāfati

ibna ʻibādin al-ṣṣāḥiba dtrasāʾila al-ṣṣāḥibi bn ʻibādi taḥqīqa ʻabdālwahhābi ʻazzāmi washawqiyya ḍayfidāra alfikri alʻarabiyyi

ʻāshūrun ،ʻumarun 2010). albinyata al-ssardiyyata ʻinda al-ṭṭayyibi ṣāliḥdāru hawmatu lil-ṭṭibāʻati wa-al-nnashri

ʻabdālllahun ،muḥammada 2011). ʾawarāqin mukhtāratin min multaqā al-ssardi alʻarabiyyirābiṭatu alkuttābi alʾurduniyyīna miṭbaʻata al-ssafīri

ibna fārisin ʾaḥamdun dtmuʻjama maqāyīsi al-llughati taḥqīqa ʻabdiālssalāami hārūnadāra alfikri

alfarāhīdiyyu ،alkhalīla bn ʾaḥamida 1998). kitābi alʻayni taḥqīqun dmahhidī al-mkhzwmy waddʾibrāhym al-ssāmarrāʾiyyadāʾirata al-sshuʾūni al-tthaqāfiyyati wa-al-nnashri

alfayrūzu ʾubādī 2005). alqāmūsa almuḥīṭa taḥqīqa maktabi taḥqīqi al-tturāthi fī muʾuassasati al-rrisāla#imuʾuassasata al-rrisālati

murtāḍun ،ʻabdālmalika 1993). ʾallafa laylatun walaylatu dirāsata sīmāʾiyyata liḥikāyati ḥammāli baghdādiālmaṭbūʻāti aljāmiʻiyyati

murtāḍun ،ʻabdālmalika 1998). fī naẓariyyatu al-rriwāya#iʻālamu almaʻrifati 240. alkūʾaytu.

almarzūqiyyu ،samīrun washākirun jamīla 1986). madkhalun ʾilā naẓariyyati alqiṣṣa#iālddāru al-twnisiyyatu

almasadiyyu ،'abdiālssalāami 1994). almuṣṭalaḥa al-nnaqdiyyamu'uassasātu 'abdālkarīmi 'abdālllahin lil-nnashri wa-al-ttawzī'i

almas'ūdiyyu .(1968) al-ttanbīha wa-al-'ishrāfadāru al-tturāthi

ibna manẓūri 2000). lisāna al'arabidāru ṣādiru

wahibatun ،majdiyyun wa-al-muhandisa kāmila 1984). mu'jama almuṣṭalaḥāti al'arabiyyati fī al-llughati wa-al-'ādabi ṭ 2). maktabata lubnānin

yaqṭīnun ،sa'īda 2006). 'intāja al-nnaṣṣi al-rriwā'iyyi ṭ 3). almarkaza al-tthaqāfiyya al'arabiyya

Narrative tendency in the letters of Al-Saheb bin Abbad

Ammar Abdulaziz Assaf (1)

Abstract:

This research sheds light on the narration in the letters of the Minister Al-Sahib Bin Abbad. The writer employed this technique in reporting the events of the battles that took place between the Albuayhiiyn and their opponents, especially those battles that lasted for a long period of time and interspersed with many events affecting the course of relations between the rival princes.

The research links the narration with other elements that dominated the writer's composition while writing. This is because this narration was not meant to convey the events, but was rather saturated with other goals implicit in the text. These goals were manifested in the elevation of the prince's status as the party that represents the good, while the other party (the opponent) represents the evil.

Based on this duality, Al-Saheb bin Abbad narrates the events of the battles that took place between Adad al-Dawla al-Buwayhi and Qaboos bin washamkir. He used narration as a technique to influence the consciousness of the recipient and disseminate ideas that elevate the authority of Prince Adad to the state. He also shows Prince Qaboos bin washamkir as a treacherous man who has not kept the covenant.

Keywords: narrative, time, place, influence, description, transmission, construction, values, recipient, events.

(1) Ministry of Education (Alain - U.A.E.)
mmar.assaf1976@gmail.com